مقدمة الكتاب

بعد نشر كتابي «جذور التشيع» وجدت مادة علمية كثيرة لا يحتمل الكتاب السالف أن أضمنها فيه، وهذه المادة تخص العلاقة بين اليهود والتشيع عقيدة وفكرًا، حملها رجال من قبائل عربية قديمًا؛ لظروف سياسية مرت بها المنطقة، ولتجاور الشعوب السامية في المنطقة العربية، وتوارث تراثها الفكري بين الأجيال والأقوام.

وفي أثناء قراءتي لمصادر الشيعة القديمة هالني التشابه بين الأفكار الواردة في المصادر اليهودية ومصادر الشيعة القديمة، في بعض الأحيان تلمحها بوضوح، وفي أحيان كثيرة يجرون عليها بعض التحوير والتغيير المناسب للاحتجاج الزمني، وجميعها موضوعة على شكل أحاديث منسوبة إلى الأئمة. ولهذا رأيت من المناسب أن أعرض ما توصلت إليه بشكل محايد، لا غرض فيه غير العرض العلمي البحت الخالي من التجني أو التشنيع، مستعملاً في الأساس المصادر الإسرائيلية والمصادر الشيعية الموثقة عندهم، وإني إن أشرت إلى مصادر أخرى، فإنما ترد على سبيل الإضافة والتعضيد لما يذكر.

ليست فرقة الشيعة وحدها التي انتقلت إليها التعاليم والأفكار اليهودية، فهذا واقع علمي وسياسي لا يمكن لأحد رد مؤثراته، حيث جرت سنة الله في خلقه أنهم وإن وضعوا في ظروف مشابهة، فلا بد أن تنتقل إليهم تلك المؤثرات شاؤوا أم أبوا. وقد شرحت في كتابي «جذور التشيع» الظروف

التـي دفعت الشيعة إلى تبني تلك الأفكار، ليس فقط من اليهود، وإنما أيضًا من النصارى ومن الفرس والمجوس.

إن هـذا مبلغ علم هؤلاء الرجال العـرب... وكذا العجم من الإيرانيين وغيرهم... الذين صدقوا تلك النقول في وقتها؛ لأن ذلك كان مبلغ علمهم إن حسنـت نياتهم، ومن كان منهم علـى نية سيئة، ويعلم أنه يسبب بذلك فرقة المسلمـين وبذر الشقاق بينهـم، أمثال عبدالله بن سبأ وأبي الخطاب وبريدة العجلـي وزرارة، وكثير أمثالهم ممـن دمغهم الأئمة بالكذب، ووصفوا بأنهم شر من اليهود.

إن رجـال الشيعـة ابتلـوا كغيرهـم بنقـل الإسرائيليـات في التفسـير والحديث، ونسبوها أقوالًا لأئمتهم طالبين في ذلك إعلاء شأن الأئمة، وإنهم عالمون بعلم أهل الكتاب، فمـن هذا الطريق أيضًا دخلت البلايا والخرافات والأقوال المبتكرة من اليهودية إلى التشيع، وسنلقي الضوء على هذا الموضوع؛ لأهميته.

والسـؤال المهم هنا هو: هل علماء الشيعـة يعرفون هذه الحقيقة؟ وإن كانـوا لا يجهلونها، فلماذا سكتوا عنها منذ القدم على الرغم من وضوحها؟ وللإجابة أرى:

١ - أن بعضًـا مـن الرواة الذيـن نقلوا تلك الأفكار اليهوديـة إنما ينقلون ما يـرون أنه علم حقيقي عرفوه من بيئتهم أو أجدادهم، ولا يعلمون أفضل منه، وما خطيئتهم إلا أنهم وضعوا تلك الأقوال، ونسبوها للأئمة؛ لتأخذ المزيـد من التصديق وإضفاء الهالـة الدينية المنفردة والمخالفة لما عليه أكثر المسلمين.

٢ - وأن بعضًا آخر من الرواة ينقلون تلك الروايات، ويضيفون إليها بسذاجة وجهل إضافات من أفكارهم ومعلوماتهم، أو مما يسمعونه دونما احتراز وتأكد منهم، مثل أحد الرواة الذين وصفهم الإمام أبو جعفر الصادق: (أنت وأصحابك كأشباه الحمير).

٣ - ولكن بعد انتشار العلم واقترابه من كل طالب منذ القرون الأولى وحتى اليوم، فلا عذر للمسلم فضلًا عن العالم، خاصة من علماء الشيعة أن يسكت عن هذه الحقيقة الواضحة في هذا البحث، ولا بد أن يجاهد لتنقية المذهب مما لحق به من خزعبلات وخرافات وأفكار بالية ومضحكة لا تليق بالعلم وأهله، والسكوت عن ذلك فيه إثم كبير، وضرر على المذهب وأهله.

إن في المذهب من شباب الشيعة من يدرسون في الحوزات العلمية، ومن وصلوا إلى دراسة ما يسمونه بالخارج، أي العلوم الدينية الخارجة بعض الشيء عما في المذهب، لماذا لا يلتفت أمثال هؤلاء لدراسة هذه الظواهر الخطيرة في التشيع؟ ذلك أنفع للمذهب وللمسلمين، إذ يسبب وحدتهم واقترابهم بعضهم من بعض، وأن يفهم كل فريق ما كان عليه الآخر من خير أو شر.

obeikandl.com